

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى



د. محمد حماسة عبد اللطيف (\*)

### اللغة وشعر الأطفال

يكتسب الطفل السوي في الثالثة من عمره اللغة التي يتكلم بها أهله وذووه ، ويصبح لديه كم صالح من المفردات المستعملة حوله تتناول أشياء مختلفة من المحسوسات وبعض المفاهيم ، كما يصبح لديه نظام هذه اللغة يمكنه من صياغة ما يريد على غرار ما يسمع ، فهو يُثبتُ وينفي ، ويطلب ويرفض ، ويسأل ويجيب إلى غير ذلك من الأنظمة التركيبية المختلفة .

وتتشكل لغة الطفل في هذه المرحلة المهمة من سنى عمره وفقاً لما يحيط به ، فإذا كانت البيئة التي يُنشأ فيها بيئة راقية المستوى ، مهذبة الطابع، قوينة السلوك كانت لغة الطفل كاشفة عن شئ من ذلك كله في اختيار المفردات ، وطرق التعبير . وإذا كانت البيئة التي ينشأ فيها على غير ذلك انعكس هذا على لغة الطفل بطبيعة الحال . فاللغة مرآة عاكسة للمستوى الاجتماعي ، والدرجة الفكرية ، والسلوك الأخلاقي والثقافي . ومن ثم يجب الحرص الشديد في تنشئة الأطفال ، وتهئية الظروف الملائمة ، والأفاق المساعدة على اكتسابهم اللغة في مبدأ حياتهم ، وفترة تمثلهم للغة والمبادئ التي تحملها هذه اللغة انطلاقاً من المبدأ المقرر وهو أن اللغة وعاء الفكر ومجلى التعبير عنه .

(\*) أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة

والأطفال في مراحل الطفولة المبكرة أى في فترة الرضاعة يستجيبون للإيقاع المنظم ، ومن هنا تلجأ الأمهات بالفطرة إلى الهددة ، والأصوات المنغمة التى يستجيب لها الأطفال فيهدأون ، وتسكن نفوسهم ، وقد يخلدون للنوم بعد بكاء ، أو يناعون بعد اضطراب وصراخ . وكثيرا ما تلجأ الأمهات إلى الغناء الذى يردد كلمات أو أغنيات محفوظة متوارثة تخاطب الطفل ، وتعدّه بأشياء جميلة وهو لا يعى منها إلا النغم الجميل الذى يأنس به ويسكن له .

ولما كان "الشعر" هو الذى يجمع بين الأنغام الموقعة واللغة الموصلة؛ اتخذته الأمهات من قديم وسيلة للتهدئة أو للمناغاة والترقيص ، فالطفل يُغنى له بالشعر ليسكن ويهدأ إذا بكى ، ويغنى له بالشعر ليلعب ويضحك ، وإلى جانب الملاعبة والتهدئة تشحن طاقته التى تتخلق بالمعاني والمبادئ والمثل والمعتقدات التى تتردد على سمعه سواء أوعاها أم لم يعها ، فإنها سوف تعمل عملها في النفس والوجدان .

وكان العرب يهتمون اهتماما واضحا بترقيص أطفالهم ، والترقيص هو ملاعبة الطفل وهزه مع تنغيم بحر الرجز ، وإسماعه أبياتا تبشره بمستقبل مرموق ، أو تتغنى بحسبه ونسبه ، أو تظهر له الحبّ والحنوّ ، أو تصف شيئا فيه ، أو تحدّثه عن مآثر آبائه وأجداده . جاء في العقد الفريد :

"وكانت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - ترقص الحسين بن على عليه السلام ،  
وتقول :

إن بُنى شبيهة النبى

ليس شبيها بعلى

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

وكان الزبير يرقص ولده عروة (وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ) ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق<sup>(١)</sup>

مبارك من ولد الصديق

أذّه كما أذ ريقى

وقال أعرابي وهو يرقص ولده :

أحبّه حبّ الشحيح ماله

قد كان ذاق الفقر ثم ناله

إذا يريدُ بذّلهُ بدّاله

وقال آخر وهو يرقص ولده :

أعرف منه قلّة النعاس

وخفّة في رأسه من راس

(١) آل أبي عتيق هم آل أبي بكر رضي الله عنه .

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

وكان رجل من طيئى يقطع الطريق ، فمات وترك ابنه رضيعا ،  
فجعلت أمه ترقصه وتقول :

يا ليتـه قد قطع الطريقـا  
ولم يُرد في أمره رفيقـا  
وقد أخاف الفج والمضيـقا  
فقل أن كان به شـفيقا<sup>(١)</sup>

وكانت السيدة حليلة السعدية تقول في ترقيص الرسول ﷺ وهو طفل  
مسترضع في بنى سعد :

يارب إذ أعطيتـه فأنقـه  
وأغـيـه إلى الغـلا ورقـه  
واحضـ أباطـيل العـدى بحقـه

وليس "الترقيص" مقصوراً على الذكران وحدهم ، بل إن الإناث  
يشركن الذكور في هذا بطبيعة الحال ، ومن ذلك ما يقوله هذا الوالد - أو هذه  
الوالدة - يرقص ابنته ويدعو لها بالحياة :

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفرید ٤٣٩/٢ تحقيق أحمد امير ، أحمد الزين ، ابراهيم الإبيارى (دار الكتاب  
العربى) .

بنيتهى سيدة البنات

عيشى ، ولا نأمن أن تماتى

هذا عن دور الشعر في الشهور الأولى من حياة الأطفال التى تتسلل فيها اللغة إلى ذهن الطفل بمفرداتها وتراكيبها ، وتشكل البنية اللغوية التى سوف يتعامل بها بعد حين ، وثمت عوامل بيولوجية ووراثية تؤثر في اكتساب اللغة عند الأطفال ، وإذا لم يكن ذلك صحيحاً فإن اختلاف البيئة والمحيط الاجتماعى لكل طفل يؤثر في ذلك . "إن نمو الطفل اللغوى يقتضى من الكبير أن يراعى مستواه وتطوره ، والأم أكثر إحساساً بهذا من الأب"<sup>(٣)</sup> فدور الأم مهم في هذه المرحلة ، وما تهدهد به طفلها مهم كذلك أيا ما كانت الطريقة التى يكتسب بها الطفل لغته ، ويتعلمها بها في هذه المرحلة<sup>(٤)</sup> .

(٢) د. أحمد مختار عمر ، اللغة واختلاف الجنسين : ١٥٠ (علم الكتب ١٩٩٦) ، وقرن بما فى : J.B Gleason, Sex Differences in the language of Children and Parents. 1979.

(٤) ترى المدرسة السلوكية أن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية بالمحاكاة ( Imitation ) والترابط أو الاقتران ( association ) والإشراف ( Camditioning ) والتكرار ( tepitation ) والتدعيم أو التعزيز ( reinforcement ) . ٥٠ إلخ انظر :  
Skinnar,B. Verpal Behavior, 1957

وانظر دراسات فى علم اللغة النفسى : ٦٢ داود عبده ١٩٨٤ .  
وترى المدرسة الإدراكية أو المعرفية Cognitive أن الطفل يتعلم التراكيب اللغوية عن طريق تقدير فرضيات ( hypotheses ) معينة مبنية على النماذج اللغوية التى يسمعا ، ثم وضع هذه الفرضيات موضع الاختبار فى الاستعمال اللغوى وتعديلها عندما يتضح له خطأها تعديلا يودى إلى تقريبها تدريجيا من تراكيب الكبار ، إلى أن تصبح تراكيبه مطابقة لتراكيبهم . (انظر : دراسات فى علم اللغة النفسى : ٧٤ داود عبده ١٩٨٤) .

ومن الواضح أن هناك شعراً يكتب عن الأطفال ، وشعراً يكتب للأطفال . وهناك فرق بين هذين النمطين من الشعر ، فالشعر الذى يكتب عن الأطفال لا يخاطب به الأطفال ، ولكنه يخاطب به غيرهم ، قد يكون نجوى خاصة بالنفس ، وقد يكون شكوى موجهة إلى المتلقين ، وقد يكون شكوى الزمن وبيان سوء الحال التى يؤدى إليها وجود أطفال أكثر ، وقد يكون حنيناً وتشوقاً إلى وجود طفل ، أو خوفاً على طفل موجود وإشفاقاً عليه ، فمثلاً قول حطان بن المعلى :

أنزلى الدهر على حكمه	من شامخ عال إلى خفض
وغائى الدهر بوفر الغنى	فليس لى مال سولا عرضى
أبكائى الدهر وياربما	أضحكنى الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا	رددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع	فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لا متعت عنى عن الغمض

تعد حديثاً عن الأطفال ، والبنات خاصة ، فهو يشكو الدهر أن اغتال ماله وأقعده حرصه على بنياته الصغيرات عن الضرب فى الأرض ، والسعى فى طلب الرزق ، ثم يتحدث عن غريزة إنسانية عالية هى حب الأولاد وأنهم قطع

وانظر أيضا المرجع فى تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ٣٦٠ وما بعدها د . رشدى أحمد

طعيمة (جامعة أم القرى) .

من أكلادنا تمشى على الأرض ، ولا يغمض جفن إذا مُسّ أحد منهم بسوء .  
وإذا كان الخوف على البنيات الصغيرات يقعد مثل هذا الشاعر عن السعى في  
الأرض وقطع وديانها في ظلمات الليل من أجل أن يهيئ لها الحياة الكريمة ،  
والمعيشة الرخيصة :

لولا أميمة لم أجزع من العدم      ولم أجب في الليالي حندس الظلم

ويحبّ آخر الحياة ، ويتعلق بها لا من أجل نفسه ، بل من أجل بناته  
الصغيرات حتى لا يتعرضن بعده لمشقة الحياة وشظف العيش :

لقد زاد الحياة إلى حبا      بناتى أنهن من الضعاف

مخافة أن يرين البوس بعدى      وأن يشرين رنقا بعد صاف

وأن يعرّين إن كسى الجوارى      فتنبو العين عن كرم عجاف

وهذا باب من الشعر واسع قديماً وحديثاً ، الحديث عن الأطفال ومحبتهم ،  
وتحمل الحياة ، وحبها من أجلهم .

وأما الذى نحن بسبيله فهو الشعر الذى يتوجه أساساً للطفل ، فالطفل هو  
قارنه ومتلقيه . ولهذا الضرب من الشعر مواصفات خاصة تتعلق بأفكاره أو  
مضامينه ، وبلغته من حيث المفردات التى تكوّن جملة ، والتراكيب التى تكوّن  
نصه ، ومن حيث الغاية التى يتغياها ، والأهداف التى يتبناها ، والمستوى  
العمرى الذى يتوجه إليه .

وهذا الشعر الذى يتوجه للطفل يسلك أحد السبل الآتية :

- أ- قد يكون على لسان الشاعر مخاطبًا به الطفل .  
ب- قد يقوله الشاعر على لسان الطفل نفسه .  
ج- قد يكون بضمير الجمع ، والجمع هنا هو جمع الأطفال .  
د - قد يكون على لسان الشيء الذى يحبه الطفل كحيوان أليف معين ،  
أو لعبة محببة لديه ، أو الأب أو الأم أو الأصدقاء .. إلخ.  
هـ- قد يكون على لسان الشيء الذى نود أن يحبه الطفل ويألف ويتعامل  
معه كالمدرسة مثلاً أو الوطن .

التجارب التى قدمها الشعراء للأطفال - حتى الآن - تخضع للاجتهاد  
الشخصى ، ولا تقوم على أسس تربوية مدروسة ، أو على أسس لغوية تراعى  
سن الطفل ومرحلته التى يكون عليها . ولا توجد لدينا مع الأسف ، دراسات  
يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال على كل الأصعدة المشار إليها في حقل  
التعامل الشعري ، قد تكون ثمت دراسات تربوية عامة تتعلق بالتعليم والمادة  
اللغوية التى تقدم للأطفال . أما في مجال الشعر فالأمر يخضع للشاعر نفسه ،  
وإحساسه الخاص ، وثقافته المعينة .

هل ثمة ضرورة ملحة لشعر الأطفال ؟ أو هل الأطفال في حاجة إلى شعر  
خاص لهم ؟ وبعبارة أخرى : هل هناك ما يدعونا إلى تقديم شعر للأطفال ؟ قد  
يقول قائل : لا حاجة بنا إلى تقديم شعر للأطفال ، ويكفي أن نهتم بنظامهم  
التعليمى ، والأساليب الخاصة التى تساعدهم على اجتياز حاجز "الأمية" حتى  
يتعلموا القراءة ، ثم عليهم أن يقرأوا لأنفسهم من "شعر الكبار" ما يجذبهم أو  
يجدون في أنفسهم رغبة في قراءته ، وأن يشقوا لأنفسهم طريقهم .

والواقع أن مثل هذه النظرة تغفل أشياء أساسية في طبيعة اللغة وحقائق  
وجودها ، وأعنى هنا طبيعة اللغة العربية نفسها بطبيعة الحال .



## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

فالناتج اللغوي الموجود لدينا منذ القديم وعلى مدى سبعة عشر قرنا من الزمان ذو شقين : شعر ونثر ، فالشعر قسيم النثر ، وصحيح أن الشعر كان القسيم الأكبر حقا في القديم ، وتبدل الحال الآن بحيث صار "النثر" بكل ألوانه وأنواعه هو القسيم الأكبر .

والشعر "فن" له نظامه وتركيبه اللغوي المعين الذي يلتزم به قائله ، ولا يتيسر لكل أحد ، بل هناك فئة قليلة تستطيع قوله وتحكم أمره ، وهو من هذه الناحية يحتاج إلى رعاية خاصة .

ولما كان الشعر "فنا" فإن أحد جوانبه الفنية هي "الموسيقى" الخاصة به ، وهي التي تسمى "الوزن" وهناك علم خاص بهذا الجانب يسمى علم العروض . وقد قال أرسطو من قديم إن الموسيقى والمحاكاة هما الدافعان اللذان يدفعان إلى قول الشعر ، ومن هنا يكون الشعر بما أن الموسيقى دعامة أساسية فيه "غريزة" أساسية في الإنسان ، ويصبح الاهتمام به مطلبا أساسيا ، وتصبح رعايته وتنميته في أبناء اللغة واجبا ضروريا .

ولما كان الشعر "موزونا" فإن إلقاءه يكون فيه ضرب من الترجيع والتوقيع بحيث يستدعى بعضه بعضا ، ومن هنا يصبح حفظه أسهل من حفظ الكلام المنثور ، ولهذا السبب لجأ بعض العلماء قديما إلى نظم قواعد العلوم حتى يسهل حفظها وجريانها على الألسنة والذاكرة ، ويكون ذلك مدعاة لعدم النسيان . ولهذا السبب ضاع كثير من الكلام المنثور - قبل عصر التدوين - وبقى كثير من الشعر لوجود عنصر الوزن فيه وسهولة حفظه وتذكره . ولهذا أيضا كانت "الأناشيد القومية" لكل الأمم من الشعر حتى تُحفظ وتُغنى في المناسبات الوطنية<sup>(٥)</sup> .

(٥) انظر : المقد الفريد لابن عبد ربه ١٩/١ إلى ٦٣ ، وانظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ١١ - ١٢ (تحقيق محمود محمد شاكر) .

لا أريد أن أكرر هنا ما قاله أمثال ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" أو ما قاله عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" عن فضل الشعر ، والدفاع عنه ، ولكنى من واقع تجربتى الشخصية في تعليم العربية ومحاولة فهمها وإفهامها ومعرفة أسرارها أكثر من أربعين سنة حتى الآن أقول : إن فهم الشعر عنوان على فهم العربية ، وليس فهم العربية عنوانا على فهم الشعر ، فالذى يفهم الشعر ، ويتذوقه قادر - بلا شك - على فهم اللغة وإدراك تراكيبها . وأقول أيضا إن اللغة تكون بخير إذا كان جمهوره كبيرة من أهلها قادرين على فهم الشعر وتذوقه ، ومن هنا أجد أن الاهتمام بالشعر اهتمام بالعربية ، ولا بد من درسه وتدرسه وغرسه بأوزانه وخيالاته في نفوس الناشئة خدمة للعربية نفسها ورعاية لحقها ، وتنميتها ، والجهد الذى يبذل في شعر الأطفال سوف تعود ثمرته على اللغة نفسها ، وعلى القومية التى تعد العربية مقومًا أساسيًا من مقوماتها ، وعلى الأوطان التى تنتمى إلى العربية وتتخذها لغة ، وعلى القيم الأساسية التى تنشأ من وراء كل تعليم .

الذى فتح باب كتابة الشعر للأطفال هو أحمد شوقي ، وأضفي على هذا العمل شرعية ، ولا غرو أن يهتم أمير الشعراء في العصر الحديث بهذا الجانب فهو يقدر اللغة قدرها ، ويقدر الشعر قدره ، ويدرك بحسه الطبيعي دور الشعر في فهم اللغة وإدراك أسرارها ، ويدرك بحسه أيضا أهمية التوجه إلى الأطفال في تلك السن الغضة التى يتشكل فيها العقل ، ويتحدد الوجدان .

قدم أمير الشعراء في ديوانه جزءا خاصًا سماه "ديوان الأطفال" فيه عشر قصائد تتناول موضوعات مختلفة قيل في تقديمها "مجموعة من الشعر السهل ، نظمها لتكون للأطفال أدبًا وثقافة"<sup>(١)</sup> هى الهرة والنظافة ، والجدة ، والوطن ، والرفق بالحيوان ، والأم ، وولد الغراب ، والنيل ، والمدرسة ، ونشيد مصر ، ونشيد الكشافة .

(١) الشوقيات ١٨٨/٤ (المكتبة التجارية الكبرى ١٩٨٣) .

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

اختار شوقي من أوزان الشعر البحور ذات التفعيلة الواحدة وهى الرمل والهزج والرجز والكامل والوافر والمتدارك ، ولم يترك من هذه البحور إلا بحر المتقارب .

وكان البحر الأكثر شيوعًا هو بحر الرجز إذ استعمله في أربع قصائد هى الجدة ، والوطن ، والرفق بالحيوان والأم . يليه بحر المتدارك إذ استعمله في قصيدتين هما النيل ونشيد الكشافة . واستعمل مرة واحدة كلا من الرمل في قصيدة "الهرة والنظافة" ، والكامل في "ولد الغراب" ، والهزج في "المدرسة" ، والوافر في "نشيد مصر" .

ولم يُستخدم البحر تاما في هذه القصائد إلا في "نشيد مصر" وفي "النيل" ، و"نشيد الكشافة" ؛ فنشيد مصر جاء على بحر الوافر ، ولكنه نوع فيه القافية ، فجعل البيتين الأولين أربعة أشطار ، كل شطر بقافية موحدة مع الأخرى :

بنى مصر مكاتمو تهياً      فهياً مهدوا للمجد هياً  
خذوا شمس النهار لكم خلياً      ألم تك تاج أولكم ملياً

وبعد هذه الافتتاحية الموقعة مع الياء المشددة المفتوحة المطلقة يستمر النشيد بيتين بيتين ، كل بيت بيتان فيهما ثلاثة أشطر موحدة القافية ، والشطر الرابع تتحد قافيته مع قوافي المطلع أى يكون بالياء المشددة المفتوحة المطلقة هكذا :

على الأخلاق خطوا المجد وابئوا      فليس وراءها للعز ركن  
أليس لكم بوادى النيل عدن      وكوثرها الذى يجرى شهياً

وعلى هذا النمط يسير التشديد ذو الوزن التام من بحر الوافر ولكن التنوع في القافية والتوحد معاً في أن يجعل نغمه سهلاً قريباً مانوساً .

وكذلك فعل شوقي في قصيدتي "النيل" و"نشيد الكشافة" من التنوع القافويّ الذى يجعل الإيقاع موقعا منوعا جميلا .

هذا الحديث عن وزن هذه القصائد المقدمة للأطفال لم يكن إلا للإشارة إلى أن شعر الأطفال ينبغي أن يراعى فيه الوزن القصير ، الواضح النغم، البسيط الإيقاع ، السريع التأثير حتى يثبت في ذهن بأدنى مجهود ، ويمكن التغنى به وإنشأه في يسر وسلاسة ، ومن هنا ابتعدت هذه القصائد عن الأوزان التامة باصطلاح العروضيين ، كما ابتعدت عن الأبحر المركبة التفعيلة مثل بحر الطويل والبسيط والمديد والسريع والخفيف والمنسرح . وقد اهتدى أحمد شوقي بخبرته الشعرية العميقة وحاسته الموسيقية الدقيقة إلى هذه الأوزان القصيرة أو المجزوءة بتعبير العروضيين ، وعندما لجأ إلى بعض الأوزان التامة اختار أسهلها وهو بحر الوافر والمتدارك ، ونوع فيه التقفية حتى يسهل فيها الإيقاع ، ويترقرق النغم .

هذا من جانب الوزن ، وأما من جانب المفردات والتراكيب فقد أدى بشوقي اجتهاده إلى أن يختار ما رآه سهلاً من المفردات ، بصرف النظر عن تحقق هذه السهولة أو عدم تحققها بالفعل ، لأنه لم تكن أمامه بالطبع دراسة علمية تبين له المفردات تشيع في عالم الأطفال ، مع أن هذا العالم مندرج على سنوات إذا أخذنا بسن المدرسة حتى نهاية مرحلة الطفولة ، ومختلف من مستوى المدينة إلى القرية ، ومختلف من مستوى اجتماعى إلى مستوى اجتماعى آخر ، ومن مستوى ثقافى إلى مستوى ثقافى آخر .

فإذا أخذنا قصيدة "الأم" التى يقول فيها شوقى :

لولا التقى لقلت : لم يخلق سواك الواددا  
 إن شئت كان العير أو إن شئت كان الأسدا  
 وإن تُرد غيًّا غوى أو تبغ رشدا رشدا  
 والبيت أنت الصوت فيه ، وهو للصوت صدى  
 كالبيغاء في قص قيل له فقأدا  
 وكالقضب اللذن قذ طواع في الشكل اليدا  
 ياخذ ما عودته والمرء ما تعودا

فلست أدري أى مستوى وجه إليه شوقى هذه القصيدة ؟ فعلى مستوى  
 "المفردات" نجد "التقى - العير - غيًّا - غوى - تبغ - رُشدًا - رشداً -  
 صدى - القضب اللذن" .

وهى كلمات ليست مألوفة للأطفال ، إما لأنها كلمات معان مثل التقى  
 والغى والرشد واللذن ، وإما لأنها كلمات غير مستعملة في عالم الطفل مثل  
 "العير" .

وعلى مستوى التراكيب كذلك نجد القصيدة احتوت على خمسة تراكيب  
 شرطية بدأت من أول بيت :

لولا التقى لقلت : لم يخلق سواك الواددا

كما احتوت على الالتفات ، فعلى حين خاطب البيتان الأول والثاني الأم في (سواك) و(إن شئت) ، تحدث البيت الثالث عن الأم بضمير الغائبة في (وإن تُرد عيًّا) و (أو تبغ رشدا) ، وعاد البيت الرابع فخاطب الأم (والبيت أنت الصوت فيه) وكذلك في البيت الأخير (ياخذ ما عوتته)

وتعاملت الأبيات مع حقائق يصعب إدراكها عند الطفل ، فالتقى الذي يمنح من إسناد خلق الولد إلى الأم ، والمقابلة بين العيز والأسد وإرادة الغى وابتغاء الرشد ، والصوت والصدى ، والقضيب اللذن وقابلية تشكله في اليد ، والمرء وما تعوده .

فإذا عرفنا أن عوامل فهم اللغة تقوم على معرفة معاني المفردات ، ومعرفة قواعد تركيبها ، وسياق الحال ، ومعرفتنا لحقائق الحياة<sup>(٧)</sup> ، أدركنا كم الصعوبة التي تقف عائقا أمام فهم قصيدة شوقي عن أحب القيم إلى الطفل وهي "الأم" .

وأما من جانب المحتوى الذي اشتملت عليه هذه القصائد فإنه محتوى محدود ، ينزع إلى الحديث عن الموضوعات الكبرى في معظمه مثل الحديث عن الوطن ، والنيل ، ونشيد مصر ، ونشيد الكشافة ، والمدرسة ، ولم يتعلق هذا المحتوى بعالم الطفل أو ما يشغله ، وهناك إلى جانب هذه الموضوعات الكبرى حديث عن النظافة في "الهرة والنظافة" و "الجدة" و "الرفق بالحيوان" ، وعدم رفق بعض الأمهات بأطفالهن كما في "ولد الغراب" و "الأم" .

ولا نستطيع أن نلوم شوقي على قلة ما تعرّض له في ديوان الأطفال ، وحسبه أنه فتح الباب في هذا المجال وشجع كثيرا من الشعراء الذين سلكوا هذا الطريق فقدموا للأطفال في هذا المجال بعد تلك أعمالا كثيرة

(٧) انظر : فهم المقروء وفهم المسموع ، داود عبده (ضمن الموسم الثقافي الثاني والعشرين لمجمع اللغة الأردني ٢٠٠٤م)

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

أما الأسلوب المستخدم في الصياغة فقد كان شوقي فيه بارعاً براعة فائقة ،  
وتتمثل براعته في الآتي :

١- أنه أجرى الحديث في بعض القصائد على لسان الطفل نفسه كما في  
"الهرة والنظافة" إذ يقول :

هرتني جدّ البقعة      وهى للبيت حليلة

وفي "الجدّة" إذ يقول :

لى جدّة تـسـرّاف بى      أحلى علىّ من أبى  
وكل شيء سـرّنى      تـذهب فيه مـنـهـبى

٢- أنه أجرى الحديث أحيانا على لسان "الشيء" فجعل "المدرسة" هى  
التي تتكلم ، فيقول :

أنا المدرسة اجعطنى      كأمّ . لا تمنّ علىّ  
ولا تفزع كمأخوذ      من البيت إلى السجن

ويخاطب أمّ الغراب في "ولد الغراب" ويشير إليها فتفهم الإشارة:

وعرفت رنة أمّه      في الصارخات النعق

اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

فاشـرت فالتفتت ففأ \_\_\_\_\_  
 ت لها مقالة مشفق :  
 أطلقته ، ولو امتحنه \_\_\_\_\_  
 ت جناحه لم تطلقى  
 وكما ترفق والدا \_\_\_\_\_  
 ك عليك لم تترفقى

وأنطق "الريح" و"العصفورة" في "الوطن" وجعل بينهما حوارًا يؤدي إلى الغاية التي يريد بها .

٣- أنه يسوق القصيدة أحيانًا في قالب قصصى محبب ، ويجرى الحوار بين شخوص القصيدة ، ففي قصيدة "الوطن" يقول :

عصفورتان في الحجا \_\_\_\_\_  
 ز حاتنا على فنن  
 في خامل من الريا \_\_\_\_\_  
 ض لاند ولا حسن  
 بيناهما تتحببا \_\_\_\_\_  
 ن سحرًا على الغصن  
 مر على أيكهما \_\_\_\_\_  
 ريح سرى من اليمن  
 حيا وقال : درتبا \_\_\_\_\_  
 ن في وعاء ممتهن !  
 لقد رأيت حول صنن \_\_\_\_\_  
 عاء وفي ظل عدن  
 خمتا كانهما \_\_\_\_\_  
 بقية من ذى وزن  
 الحاب فيها سكر \_\_\_\_\_  
 والماء شهذ ولبن  
 لم يرها الطير ولم \_\_\_\_\_  
 يسمع بها إلا افتتن



هَيَا اركبـاتى نأتهـا      فى ساعـة من الزمـن  
 قالـت له إحداهـما      والظيـرُ منهنّ القطـن :  
 يـاريحُ أنت ابـن السـيـبـ      ل ، ما عرفـت ما السـكن  
 هـب جنة الخلد اليمـن      لا شئ يعـدل الوطن !

ففي هذه القصيدة جرى الحوار بين "الريح" وإحدى العصفورتين بعد تصوير ما كانت عليه العصفورتان ، وحال الحياة في اليمن ، وكان ردّ العصفورة حاسماً مقتضبا ، وكان كلام الريح مسهباً ، وناسب هذا الحوار الموقف المصور ، إذ كان الريح يغريهما بالانتقال من الحجاز حيث القسوة والشظف إلى اليمن حيث النعمة والرخاء ، وتمسكت العصفورتان بالوطن في اقتضاب مما يوحى بأن قضية الوطن لا تخضع للمساومة والأخذ والردّ .

٤- يصرح شوقي في آخر القصيدة دائماً بالمغزى الذى يريد أن يثبت في ذهن الطفل ، سواء أكان ذلك بصيغة الطلب كقوله عن النظافة:

لا تمرنْ على العيـ      ن ولا بالأنف جيفة  
 وتعدّ أن تلاقى      حسن الثوب نظيفة  
 إنما الثوب على الإنـ      لسان عنوان الصديقة

أم كان بصيغة الاستفهام التقريري كقوله على لسان الجدة مخاطبة ابنها  
 والد حفيدها :

ألم تكن تصنع ما يصنع إذ أنت صبي؟

أم كان بجملة تقريرية قاطعة في نفيها

هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

أو قاطعة في ثبوتها كقوله في الرفق بالحيوان :

بهيمة مسكين يشكو فلا يبين

لسانه مقطوع وماله دموع

حسب أحمد شوقي أنه فتح الباب مهتديا بعبقريته الشعرية بهذه النماذج القليلة التي قدمها في هذا المجال الذي نرى أنه مجال مهم نحن في حاجة إليه من أجل تغذية وجدان الطفل وعقله وتنمية لغته بمثل هذا الأسلوب الجميل .

نظلم أحمد شوقي ظلماً بيئاً إذا قلنا إنه اكتفى بعشر القصائد التي قال عنها ناشرو ديوانه أو شوقياته إنها ديوان الأطفال ، لأن أحمد شوقي قدم في شوقياته أربعاً وخمسين قصيدة سميت "الحكايات" جاء معظمها في حكاية أو قصة عن بعض الطيور والحيوانات . استغل فيها شوقي عاملين أساسيين أولهما أن سليمان - عليه السلام - علم منطق الطير فلا عجب أن تأتي بعض القصائد مثل "سليمان والهدهد" و"سليمان والطاوس" و"سليمان والحمامة" . والآخر أن نوحاً - عليه السلام - حمل في سفينته من كل زوجين اثنين ، فهي مناسبة للحديث عن أحوال بعض الحيوانات في السفينة كالدب والثعلب والليث

والذئب والأرنب وبنات عرس والحمار والنملة . وقد ترددت أسماء بعض الحيوانات وشاعت في هذه الحكايات وحظي الثعلب لمكره ودهائه وحيلته ، والأسد لكونه ملك الغابة وقوته ، والكلب لإلفه ووفائه ، والحمار لطيبته وغبائه ، وغير ذلك من أنواع الحيوانات والطيور وبعض الحشرات التي بلغت اثنين وأربعين نوعًا من عناوين القصائد .

وهذه القصائد سلكت مسلكاً رمزياً قريباً وواضحاً ، وتساق العظة أو الحكمة في آخرها دائماً مستخلصة من الحكاية في صورة تعليق فيه تركيز شديد أو مفارقة شديدة الوضوح . وهذه الحكايات تصلح للكبار وللصغار معاً ، وكل يستخلص لنفسه منها ما يتسع له إدراكه ويستوعبه عقله .

وأذكر أنه درّس لنا ونحن في المدرسة الإلزامية وكنا في التاسعة من العمر بعض هذه الحكايات الشعرية ، وما تزال ترنّ في أذني قصة "اليمامة والصيد" وحمقها الذي أوقعها في يد الصيد . ومع أننا لم نفهم تماماً قولها :

### ملكنت نفسي لو ملكنت منطقي

فإننا لم نستطع أن ندفع ذلك الشجن الذي ملأ نفوسنا من هذه القصة المؤثرة التي تمثلت في براءة هذه اليمامة التي كانت بأعلى الشجرة بعيدة عن عين الصيد الذي هم بالرحيل حين ملّ من الحوم حول الروض بحثاً عن صيد من الطير فلم يجد ظلاً لواحدة منها ، فسألته هذه اليمامة المسكينة عن مقصده فكان جزاؤها أن صوب نحوها سهم الموت ووقعت في قبضته .

يمامة كانت بأعلى الشجره      أمانة في عشاها مستتره

فأقبل الصياد ذات يوم      وحام حول الروض أي حوم

فلم يجد للطير فيه ظلاً      وهم بالرحيل حين ملا  
 فبرزت من عشاها الحمقاء      والحمق داء ماله نواء  
 تقول جهلاً بالذى سيحدث      يا أيها الإنسان عمّ تبحث  
 فالتفت الصياد صوب الصوت      ونحوه سدّد سهم الموت  
 فسقطت من عرشها المكين      ووقعت في قبضة السكين  
 تقول قول عارف محقق :      "ملكنت نفسى لو ملكنت منطقى"

وقد لجأ شوقي في هذه الحكايات إلى "القافية المزوجة" بحيث يكون البيت في آخر شطره الأول قافية تماثل ما في آخر شطر الثاني ، وغلب هذا على هذه الحكايات فجاءت خمس وثلاثون حكاية منها على هذه الطريقة ، وجاءت القصائد الأخرى كل منها بقافية موحدة ، ولا شك أن طريقة ازدواج القافية في البيت تساعد على ترسل الحكى وتنوع النغم مما لا يدفع إلى الملل . ولا يعنى هذا أن القصائد الأخرى التى لم تلتزم بهذه الطريقة قد جاءت مملّة ، بل إن كل قصيدة منها سلكت مسلكاً تحبب نفسها به إلى قارئها ، ولكنى أردت فحسب أن أكشف تنوع أساليب شوقي وتفننه في إبداعه .

وقد كانت هذه الحكايات التى قدمها أحمد شوقي "خفيفة الظل" تشيع فيها المفارقة الساخرة ، وتأتى العظة فيها دائماً مقرونة بموقف طريف مما يجعلها سائغة مقبولة محببة ، والحكايات كلها أمثلة لهذا الذى أريد ، ولكنى أختار من بينها وعلى غير اختيار حكاية "الفأرة والقطة" التى يقول فيها شوقي :

سمعت أن فارة أتاهما	شقيقها ينعى لها فتاهما
يصيح يالى من نحوس بختى	من ساط القط على ابن أختى
فولولت وعضت الترابا	وجمعت للماتم الأترابا
وقالت اليوم انقضت لذاتى	لا خير لى بعدك فى الحياة
من لى بهر مثل ذاك الهر	يرىحنى من ذا العذاب المر
وكان بالقرب الذى تريد	يسمع ما تبدى وما تعيد
فجاءها يقول يا بشراك	إن الذى دعوت قد لىاك
ففزعتم لما رأتاه الفارة	واعتصمت منه ببیت الجاره
وأشرفت تقول للسفيه	إن مت بغد ابنى فمن يبكيه ؟

وكذلك "ثعالة والحمار" التى تقوم فيها "التورية" بدور واضح فى آخر شطر فيها :

أتى ثعالة يومًا	من الضواحي حمار
وقال إن كنت جارى	حقا ونعم الجار
قل لى فابنى كئيب	مفكر محتار
فى موكب الأمس لما	سرنا وسار الكبار

## فكر وإبداع

اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى

طرحت مولاي أرضنا فهل بذلك عارُ ؟  
وهل أتيت عظيمًا ؟ فقال لا يا حمارُ

لقد كان وعى شوقي واضحا في أن تكون حكاياته التي جاءت على السنة الحيوانات والطير واضحة المغزى قريبة الرمز يفهما الصغار قبل الكبار ، ولجا فيها إلى أن تكون على السنة الحيوانات والطير حتى يسلم من المؤاخذة إن كان ثم تلميح إلى السلطة كما في حكاية "الأسد ووزيره الحمار" التي تبين أن الأسد اختار الحمار وزيره ، فترتب على هذا الاختيار فساد الأحوال ودمار الملك ، وفقدان هيبة الملك :

حتى إذا الشهر ولى  
لم يشعر الليث إلا  
القرد عند اليمين  
والقط بين يديه  
فقال من في جدوى  
أين اقتدارى وبطشى  
فجاءه القرد سرًا  
يا عالى الجاه فينا  
كليلة أو نهـار  
وملكه في دمار  
والكلب عند اليسار  
يا هو بعظمة فار  
مثلى عديم الوقار  
وهيبتى واعتبارى  
وقال بعد اعتذار  
كن عالى الأنظار  
من رأيكم في الحمار

واللغة المستخدمة في هذه الحكايات لغة سهلة قريبة المنال ، ليس فيها لفظ غريب أو ناب ، وإذا جاء لفظ غير مأنوس فإنه يظهر معناه من خلال سياقه ، بل قد يلجأ أحياناً إلى بعض الألفاظ العامية كقول بنت عرس عندما نهضت لإنقاذ جارتها الأرنب في السفينة :

جاءت عجوز من بنات عرس      تقول أفدى جارتى بنفسى  
أنا التى أرجى لهذى الغاية      لأننى كنت قديماً "داية"

وكل الحكايات ومثلها شعر الأطفال مما يسهل حفظها وترديدها على الألسنة ، ومن هنا تنمو لغة المتعلم من حيث المفردات والتراكيب والصور ، وتتعمق في نفسه المعانى والقيم التى تقدم في هذا الإطار المحبب الجميل .

وكل ما قدمه شوقى في هذا المجال يمثل جزءا يسيراً مما يراد تقديمه للطفل ، ولا يصح أن نلوم أحمد شوقى فقد كان محكوماً بظروف خاصة كان يراعيها في كل الأحوال ، ويكفي أنه كان رائداً ، وأنه فتح هذا الباب . وقد تطورت الحياة تطوراً ملحوظاً ، وتغيرت أشياء كثيرة ، وعلى كل عصر أن يتحمل تبعات ما يجب عليه عمله نحو أطفاله .

بعد أحمد شوقى كتب عدد من الشعراء للأطفال ، واهتم القائمون على التعليم أن يضعوا من هذا الشعر شيئاً لأطفال المدارس ، وكان في أيام طفولتى بعض النصوص التى مازلت أحفظ بعضها مثل هذا النص الذى بحث على التعاون للشاعر محمد الهرأوى يقول فيه :

أربعة كـلاب      من خيرة الأصحاب

تعمل بالسيوية	قد ألفوا جمعة
وكلهم مطرغ	واتفق الجميغ
يوم احتفال العقبة	أن يركبوا في عربة
واثنان يسحبان	اثنان يركبان
يرجع فيها راكبا	ومن يجردا هبا
فيه السرور الأكبر	فكان هذا النظر

وواضح من هذا النص تأثيره بأحمد شوقي وطريقته في قصر الوزن واصطناع القافية المزروجة ، لكن هذا النص لا يرقى في حكايته إلى مستوى أحمد شوقي الذي ابتكر عددًا من الحكايات المقنعة<sup>(٨)</sup> .

وقد ظل أحمد شوقي يلقي بظله على كل من يأتي بعده ، ولم يخرج عنه إلا فاروق شوشة الذي قدم أربعة أعمال مستقلة للأطفال ممثلين في أحفاده "حبيبة والقمر" و"ملك تبدأ خطواتها" و"حكاية الطائر الصغير" و"الأمير الباسم" . أقول إنَّ فاروق شوشة خرج عن تأثير أحمد شوقي في الصياغة الشعرية لأنه أثر أن يكتب عن الصغار ولهم كما يكتب للكبار بطريقة الشعر الحر ، وإن كان في بعض الموضوعات متأثرا بأحمد شوقي كما في "حكاية الطائر الصغير" التي تجدها في مغزاها قريبة من حكاية "القبرة وابنها" لأحمد شوقي مع اختلاف في التفاصيل بطبيعة الحال . وعلى كل حال تجربة فاروق شوشة

(٨) ظهر: حبيبة والقمر" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ ، و"ملك تبدأ خطواتها" عن الهيئة نفسها سنة ٢٠٠٢ وحكاية الطائر الصغير عن قطر الندى سنة ٢٠٠٢ و"الأمير الباسم" عن المركز القومي لتقافة الطفل ٢٠٠٥ .



مع شعر الأطفال تحتاج لوقفة في غير هذا المجال . أردت فحسب أن أشير إلى أن كل من أتى بعد أحمد شوقي لم يستطع الإفلات من تأثيره تمامًا ، وهذا يقودنا إلى تجربة الشاعر سليمان العيسى الذي خصص ديوانا من ٧٥٦ صفحة لشعر الأطفال سماه "ديوان الأطفال"<sup>(٩)</sup> وهي التسمية نفسها التي وضعت لقصائد أحمد شوقي للأطفال ، وإذا كان عدد قصائد شوقي في ديوان أطفاله لم يتجاوز عشرين مع عدم احتساب الحكايات لأنه لم يضعها في ديوان الأطفال ، فإن القصائد التي قدمها سليمان العيسى في هذا الديوان بلغت أربعًا ومائتي قصيدة .

وقد أتاح طول الزمن ، وعمق الاهتمام بالأطفال أن ينوع في الموضوعات تنوعًا غنيًا يتضح فيه الإيمان والإصرار على الهدف . ووضوح الرؤية ، وهو يكرر كثيرًا أن "هذه الأناشيد كتبت ليغنيها الأطفال لا ليقرأوها بالطبع ، وعندما يغنونها سيحفظونها"<sup>(١٠)</sup> ولا يقف شاعر نفسه على شعر الأطفال بهذه الكمية وبهذا التكثيف إلا إذا كان مؤمنا إيمانًا حقيقيًا بقضيته . تقول الدكتورة ملكة أبيض "وخلف الديوان كله تقف نظرة نفسية تربوية تتمثل في أننا ربما استطعنا تغيير حياة الأطفال إذا ما تدخلنا بصورة مبكرة في مسرح نموهم عن طريق تزويدهم بتصوير واضح للكيفية التي يستطيعون بها أن يكونوا فاعلين ، نشطين في المجتمع . وزيادة الوعي هذه تشفي من أهم عوائق التطور ، ألا وهي اللامبالاة التي تعطل قوى الكثير من الناشئين في المجتمعات الحديثة"<sup>(١١)</sup> .

ويقول الشاعر سليمان العيسى عن ديوان أطفاله "هذه الأناشيد تخاطب الأولاد من سن ٧ - ١٥ وتنتظر التلحين والإخراج والأداء .

(٩) طبع في دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان ودار الفكر دمشق - سورية ١٩٩٩ م .

(١٠) ديوان الأطفال : ٣٨٤ .

(١١) د. ملكة أبيض ، ماذا يبنى الأطفال في ديوان الأطفال لسليمان العيسى - دراسة مسئلة من كتاب الباحثة نفسها بعنوان "وقفات مع سليمان العيسى" الهيئة العامة للكتاب في صنعاء ٢٠٠١ م .

وليس للنشيد سن محددة بالضبط<sup>(١٢)</sup> ويقدم لعمله بمقدمة طويلة يخاطب فيها الأطفال مخاطبة الكبار قائلا : "إني لا أكتب للصغار لأسليهم . ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدي وأنفع في ذا المجال إني أنقل إليكم تجربتي القومية ، تجربتي الإنسانية ، تجربتي الفنية أنقل إليكم همومي وأحلامي يا أعزائي الصغار"<sup>(١٣)</sup> .

وقد كان الشاعر صادقا عندما أشار إلى سن الأطفال الذين يتوجه لهم، بل أكاد أقول إن بعض هذه الأناشيد مقدمة إلى أطفال دون السابعة ، وذلك مثل "حروفنا الجميلة"<sup>(١٤)</sup> .

ألف بـاء تـاء ثـاء

هــا نـقـرأ يـا هـيـفاء

وكذلك الأعداء في "عاش الحب"<sup>(١٥)</sup>

عـدوا واحـد عـاش الحـب

عـدوا اثـنـين سـار الرـكـب

عـد ثـلاثـة يـا عـبـاس

عـدوا الأربـع وقـف النـاس .. إلـخ

(١٢) ديوان الأطفال ٣٤ .

(١٣) للسابق : ٣٠ .

(١٤) السابق : ٣٧ .

(١٥) السابق : ٣٨٧ .

ويحرص العيسى على اللغة العربية الفصيحة من منطلق أن "الكلمة العربية الفصيحة الجميلة هي التي تبنى - في رأينا - شخصية الطفل القومية ، وتشارك في تكوين فكره السليم . لنحرص على الكلمة الفصيحة الجميلة ، ولنزرعها في نفوس الصغار وعقولهم . فلم يبق لنا غير لغتنا العربية الجميلة من هواء نقى يملأ صدورنا"<sup>(١٦)</sup> .

إننى أتفق مع الشاعر تماما في تقديم اللغة العربية الفصيحة للأطفال في هذه السن الطرية الغضة ، وجعل هذه اللغة في إطار شعريّ غنائى محبّب ، واللغة كما هو معروف تتلقى بالسماع ، ولذلك سوف تركز هذه اللغة بمفرداتها في أذهان الصغار مرتبطة بأدائها الجميل فتنشأ الألفة بين الأطفال ولغتهم القومية ، ولا تكون غربة تجافي بين الأطفال ولغتهم ، وقد كان العيسى واعيا بهذا الدور التربويّ الفعال ، ومن هنا لم يبخل على الأطفال بجوانب "الخيال الشعري" الذى يحرك مخيلة الطفل ويوسع مداركه ويغذى رغبته الفطرية في ولوج عالم الخيال والأساطير . وكان يستغل هذه الطاقة الغنائية في تزويد الأناشيد ببعض المفردات التى قد تكون جديدة على الأطفال ويستعين بشرح معانيها حتى تنضم مفردات جديدة إلى القاموس الذهنى للطفل .

وسليمان العيسى - كما رأت الدكتور ملكة أبيض بحق - يتناول المجالات

الآتية :

- ١- العالم الشخصى للطفل أو مفهوم الذات لديه .
- ٢- عالم المدرسة واللعب ، فالتعلم واللعب وجهان لعملة واحدة ، إذا ما نظرنا للعب في صورته الإيجابية ولا سيما في مرحلة الطفولة المبكرة .

(١٦) السابق : ٣٨٥ .

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

٣- عالم الطبيعة بما تحويه من فصول وشمس وقمر ونجوم ونبات وماء وحيوان ولا سيما الحيوان الأليف .

٤- عالم الإنسان بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالمجتمع الإنساني الكبير .

ولقد كان الهدف التعليمي واضحاً لدى سليمان العيسى حتى إنه في الجزء الأول من ديوان الأطفال كان يعرض على الطفل "أسئلة" بعد القصيدة ، فعل هذا سبع مرات فحسب<sup>(١٧)</sup> ، ولم يلتزم به في كل الديوان.

سلك العيسى مع شعر الأطفال مسلك شوقي في الوزن إذ حرص على الأوزان القصيرة ، وابتكر في هذا المجال صوراً لبعض البحور العربية لم تكن تستعمل بهذه الطريقة كأن يجعل الشطر من تفعيلتين بدلاً من أربع مثل :

صافحناه	حييناه
يا عماء	قانا أهلاً
ضاد طاء	شين صاد
تجن الظاء	بعد الطاء
بالمياء	غنى معناه

وينوع في القصيدة الواحدة بين أكثر من وزن ، ويغايّر في كمية الأبيات ، وينوع القوافي مع تنوع الأبيات ، أو يوحد بينها مع هذا التنوع.

(١٧) انظر الصفحات : ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

والجملة عند العيسى قصيرة وهي اسمية غالبا ، وفعليّة عند سرد الحدث ، والجملة القصيرة مما يناسب سن الأطفال في الاستيعاب السريع والفهم الواضح .

سوف أقارن في هذه الفقرة بين عملين أحدهما لأحمد شوق والآخر لسليمان العيسى . والقصيدتان تتناولان هدفا واحداً هو التحذير من الكذب ، فموضوع القصيدتين واحد يقول أحمد شوقي في الحكايات بعنوان "القرد في السفينة"<sup>(١٨)</sup> يقصد سفينة نوح عليه السلام :

لم يتفق مما جرى في المركب	ككذب القرد على نوح النبي
فإنه كان بأقصى السطح	فاشتاق من خفته للمزج
وصاح يا للطير والأسماك	لموجة تجذ في هلاكى
فبعث النبي له نسورا	فوجدته لاهيا مسرورا
ثم أتى ثانية بصيح	قد ثقت مركبنا يا نوح
فأرسل النبي كل من حَضَرَ	فلم يروا كما رأى القرد خطر
وبينما السفينه يوماً يلعب	جاءت به على المياه المركب
فسمعوه في الدجى ينوح	يقول إنى هالك يا نوح
سقطت من حماقتى في الماء	وصرت بين الأرض والسماء

(١٨) الشوقيات ١٦٠/٤ .

اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

فلم يصدق أحد صياحة      وقيل حقا هذه وقاحة  
قد قال في هذا المقام من سبق      أكذب ما يلفي الكذوب إن صدق  
من كان ممنوا بداء الكذب      لم يترك الله ولا يعفي نبي

ويقول سليمان العيسى في قصيدة "الراعي والذئب" (١٩) :

الريـوة الخضراء تنتظـرُ  
وخرافه في الدرب تنتشرُ  
كان الفتى يسـعى  
نشاطا إلى المرعى  
يلهو بأغنية  
نشوى على شفة  
أو يجمع الزهرا  
ليصوغه شعرا  
الريـوة الخضراء تنتظـرُ  
وخرافة في العشب تنتشر

(١٩) ديوان الأطفال : ٤٢٣ .

\* \* \*

ويعرّف يومًا خاطرًا

ففي بال راعينا

ساصبٍ يخ: ذنب كاسر

يجتاح والدينا

وتهب قريتنا لتنجدني

وتكون حادثًا تسألنا

وتردد الأصداء والندب

الذنب

الذنب

هُرع الناس على صوت الفتى

أين أين الذنب من أين أتى

ليس ما يؤذى هنا أو يجرح

أيها السادة إنى أمزح

مرح هذا الفتى نعترف

همهم الأصحاب ثم انصرفوا

\* \*  
الربوة الخضراء      تنتظر  
وقطيعة كالمضوء ينتشر  
ويعود صاحبنا دعابة  
وتردد الأصداء والهضبة  
الذنب      الذنب  
وتهيب قريته لنجدته  
وتعود : لا خبر ولا ذنب

\* \*  
ويجئ الذنب يوماً مصانئاً  
فته الأحمر مثل الشرر  
أيها الناس أتى الذنب أتى  
أنجدوني      إننى فى خطر  
مرح هذا الفتى قال الجميع  
إنه يلهو      دعوه للقطيع



لم يصدق أحد

لم يجنّه أحد

ما الذي بعد يضائف

أكل الذئب الخراف

الذين امتهنوا في الحياة الكذبا

صدقهم لو صدقوا ذاهباً أيضاً هبا

المحتوى الأخلاقي الذي حرصت القصيدان عليه هو بيان عاقبة الكذب والتحذير منه ، وقد صرح أحمد شوقي كعادته في آخر الحكاية بهذا الغرض بقوله :

**مَنْ كَانَ مَمْتُوا بَدَاءَ الْكُذْبِ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ وَلَا يَغْفِي نَبِيَّ**

فجعل الكذب داءً يصاب به بعض الناس ، والداء مرض شديد تجب مقاومته بالعلاج والوقاية منه ، وجعل الشخص الذي يصاب به لا يرعى حرمة لشيء حتى لا يترك الله في الكذب عليه ، ولا يخشاه في هذا ، وهو من باب أولى لا يترك النبي من الكذب عليه كما فعل "القرود" مع نوح عليه السلام، ولعله من أجل هذا جعل شوقي هذه الحكاية للقرود مع نوح عليه السلام في السفينة ، فكانت السفينة مسرحاً للقاء كل الحيوانات معاً من جانب ، ومع نوح نفسه من جانب آخر ، وجعل الكذب من القرود على نوح نفسه وهو نبي الله ، والذي يكذب على نبي الله يكذب على الله .

ومن الملاحظ أن سليمان العيسى صنع صنيع شوقي فصرح بالغاية التي يتغياها في آخر قصيدته وجعلها مظلمة في الكتابة تمييزا لها ولفتا للأنظار إليها بوضعها في هذا الإطار المظلل . يقول :

الذين امتهنوا      في الحياة الكذبا  
صدقهم - لو صدقوا-      ذاهباً أيضاً هبا

فجعل الكذب "مهنة" في الحياة يمتحنها بعض الناس ، وعاقبتهم أنهم إذا صدقوا (ونلاحظ أنه قال : "لو صدقوا" و "لو" حرف امتناع لامتناع أى أن صدقهم نادر) إذا صدقوا فإن صدقهم يذهب هباء . وصاغ هذا المعنى في بيتين وهما جملة نحوية واحدة على حين صاغ شوقي هذا المعنى في بيت واحد - والحكمتان نحويًا مصوغتان بطريقة متشابهة في بناء الجملة ، غير أن العيسى زاد جملة اعتراضية هي (لو صدقوا) .

والعقاب الذى يتوقعه العيسى سلبى لأنه جعل صدق الكاذبين ضائع هباء مثل كذبهم ، وهى نتيجة فيها شئ من اللين ، ولعله أراد هذا التخفيف حتى يطعمهم في العودة إلى حوض الصدق . على حين جعل شوقي العقاب حادا صارما إذ صورّ الكذوب بأنه متجربى على الله وعلى الأنبياء ، فمنطلق التخويف عند سليمان العيسى اجتماعى نفسى ، ومنطلق التخويف عند شوقي منطلق دينى بالإضافة إلى أنه جعل الكاذب قرذاً فكان قد مسخ من آدميته وإنسانيته . هذا من حيث محتوى الحكاية ، أما من حيث بنيتها فنجد شوقي - كما أشرنا - اخترع القصة اختراعاً وأفصح له خياله هذا التصور ، وجعل القرذ في هذه الحكاية يكذب مرتين الأولى عندما استغاث بالأسماك والطيور من الموجة العاتية التى تكاد تهلكه ، والأخرى عندما صاح مرة أخرى أن

السفينة قد تقبت وأن الجميع سوف يهلك . في المرة الأولى أرسل نوح النصور محلقة في الجو لاستكشاف الأمر فوجدته لاهيا مسرورا ، وفي المرة الثانية أرسل نوح كل من حضر في استنفار عام ، فلم يروا - كما رأى القرد - أى خطر.

في المرة الثالثة سقط القرد فعلا في الماء وهو يلعب فأخذ ينوح قائلا إنى هالك يا نوح ، فلم يصدق أحد صياحه واتهموه بالوقاحة . وكان ما كان .

أما في قصة سليمان العيسى فقد أخذها من قصة نثرية متداولة هي "الراعى والذئب" وقد كذب الراعى مرتين بطلب النجدة من الذئب الذى سيعود على خرافه ، وفي كل مرة يهرع الناس لنجدته فيجدون الفتى وشياؤه في سلامة ويفاجئهم بأنه يمزح ، وفي الثالثة عندما جاء الذئب حقا صاح طالبا النجدة ، فقال أهل قريته إنه يمزح ولم يصدقه أحد ، وأكل الذئب خرافه .

بنية الحكاية واحدة والشخص تختلف ، وقصة شوقى محكمة ، ولذا جاءت قصيرة لم تتجاوز اثنى عشر بيتا ، وسليمان العيسى أدخل تفصيلات كثيرة لم يكن بعضها في صالح القصة ، حيث جعله العيسى فتى نشيطا يسعى إلى المرعى ، والنشاط داع من دواعى الجد كما أنه داع من دواعى المرح ، فوظف النشاط للمرح الكاذب ، وجعله مغنيا يلهو بأغنية نشوى على شفة ، وهذه رومانسية حاملة لا تؤدي إلى الكذب ، وجعله شاعرا يجمع الزهر ليصوغه شعرا ، والشعر قد يكون مطية للكذب كما يكون مطية للصدق ، فوظفه سليمان العيسى للكذب ، وهذه قيمة سلبية كما وظف الرومانسية والمرح من قبل له ، ومن هنا طالت قصة سليمان العيسى بضعف أبيات قصة شوقى.

## اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى **فكر وإبداع**

ومن حيث الوزن اتبع أحمد شوقي وزنا واحدا هو الرجز التام ، وزاوج في القوافي بحيث تكون هناك قافية في آخر الشطر الأول وأخرى في آخر الشطر الثانى ، وتختلف القوافي من بيت لآخر ، فوحد ونوع في الوقت نفسه .

ونجد سليمان العيسى قد جمع في حكايته عددًا من الأوزان فبدأ بالكامل ، وثنى بجزء من البسيط ، ويعود إلى الكامل بالبيت الافتتاحى نفسه ثم يأتى بمجزوء الكامل مع التنويع في القوافي ثم يلجأ إلى الرمل التام ، ثم يكرر البيت الافتتاحى ، وبعده أبياتٌ من الكامل الأحذ المضمّر ، ثم ينتقل إلى الرمل في ثلاثة أبياتٍ وبعدها جزء من بحر المديد ، ثم بمجزوء الرمل .

وقد يكون لهذه التشكيلة ما يسوغها عند الشاعر لأنه يكتب للأطفال وفي ذهنه أن هذه القصائد تغنى لهم ، فإذا غنيت تنوع التلحين والأداء بتنوع الوزن، ولكن القصيدة في القراءة تختلف عن الغناء ، في قراءتها يحول تعدد الوزن دون اطراد النغم وتحدر الإيقاع .

لم أرد مفاضلة بين الشاعرين ، ولكنى - فحسب - أردت أن أشير إلى أنّ شوقى يفرّد ظله من حيث يشعر لاحقوه أو من حيث لا يشعرون . ويبقى أن سليمان العيسى كتب كما كبيرًا من القصائد ونوع تنويغًا هائلًا في موضوعاته استوعبت كثيرًا مما يريد علماء التربية والتعليم أن يقدموه للتلاميذ فشمّل التراث والقومية والوطن والعلاقات الإنسانية والمستويات الاجتماعية والحيوانات والطيور والحروف والرسوم والألوان والأعداد والأسماء والمدرسة والألغاب وكل ما يهم الطفل ، ويهم المربين أن يعلموه للطفل .

التعليم بالشعر تعليم مبهجٌ ، ولا سيما إذا أنشد هذا الشعر لما ينطوى عليه الشعر من نغم هو جزء أساسى في بنائه ، وهذا يؤدى إلى سرعة الحفظ وسرعة التذكر ، وإلى ترسيخ القيم النبيلة في وجدان المتعلمين وعقولهم . كما يؤدى إلى توسيع الخيال عند الأطفال ، وخيال الأطفال نشيط بطبيعته .

والشاعر الذى يكتب للأطفال لن يتخلى عن الخيال والصور الشعرية مهما حاول التبسيط ، وهذا الخيال وهذه الصور الشعرية سوف تكون جزءا من المذخور اللغوى عند الطفل . فالحاجة إلى شعر الأطفال قائمة مستمرة ، وإذا لم تهتم المدارس بهذا الجانب ؛ فالمرجو من أولياء الأمور ألا يهملوه وأن يغذوا أبناءهم بهذا الجانب الخصب . فإذا اتفقنا على أهمية هذا الجانب فإن هناك خطوات أراها ضرورية في الإعداد والتنفيذ .

١- تقسيم سن الطفولة إلى مراحل ، وهى معروفة ، ما قبل المدرسة وبعد المدرسة يمكن أن تكون كل ثلاث سنوات مرحلة سنية . فتكون لدينا تقريبا خمس مراحل سنية ، كل مرحلة من هذه المراحل لها ما يناسبها من الشعر ، قبل المدرسة ينشد هذا الشعر ويعنى للأطفال ، وما بعد المدرسة يقرأ ويحفظ ويعنى إن أمكن .

٢- يراعى اختيار الألفاظ المناسبة لكل سن ، وهذا يقتضى عملا لغويا ينهض به المتخصصون في رصد الألفاظ التى تشيع في هذه المرحلة أو تلك وتقرب فيها هذه الألفاظ من لغة الحياة اليومية وفي الوقت نفسه من اللغة الفصيحة بحيث لا تكون غريبة على الطفل ، ولا مانع - بل يجب - أن تزيد نسبة معينة من ألفاظ جديدة تضاف إلى مخزون الطفل . توضع هذه القوائم أمام الشعراء ليختاروا منها ما يلانم . هذه الخطوة في حقيقة الأمر خطوة مهمة ، واللغويون هم الذين يستطيعون القيام بها خير قيام ، ولكنها واجبة خدمة للنشء واللغة والقومية والقيم التى نحرص عليها .

٣- يواكب الخطوة السابقة خطوة مهمة أخرى هى تحديد الأنماط التركيبية أى الجمل التى يسهل استيعابها في كل مرحلة ، وأتوقع أن تكون الجمل بسيطة قصيرة في المراحل الأولى ،

يزيد طولها شيئاً فشيئاً في المراحل التالية حتى نأتى إلى الجمل المركبة الطويلة ، لأنه من المعروف لغوياً أن الجمل الطويلة أصعب في الفهم من الجمل القصيرة حتى مع سهولة ألفاظها وسطحية أفكارها . وهنا أشير إلى أن سليمان العيسى بفطرته الشعرية لجأ إلى الجمل القصيرة في كثير من شعر ديوان الأطفال مثل قوله في "ديمة تغنى"<sup>(٢٠)</sup> :

اسمى ديممة

هل تدرون

يا أطفال

مغنى ديممة؟

مغناها حنوناً

مغناها المطر الدائم

يسقى الأرض فيكسوها

ورقاً أخضر وبراعم

وهذا أيضاً عمل لغوى يقوم به المتخصصون خدمة للأغراض السابقة .

(٢٠) السابق ١٧٣ ، ١٧٤ .

- ٤- لا نستطيع - بطبيعة الحال - أن نلزم الشعراء بشئ ، ولكن الألفاظ المناسبة والتراكيب الملائمة عندما توضع أمامهم سوف يستفيدون منها ، وعندما يعلن عن مسابقات معينة في هذا الصدد سوف يحاول كل منهم أن يفوز بقصب السبق فيتوخى الشروط المقبولة ، ومن بينها تحديد الموضوعات التي يتناوله الشعر المطلوب للأطفال في المرحلة السنية المعنية . أتصور أن وزارة التربية والتعليم والثقافة والهيئات المختصة هي المنوطة بهذه المهمة .
- ٥- عندما تكون الجمل قصيرة تكون الأبيات في القصيدة مستجيبة لهذا القصر ، ومن هنا تكون الأوزان الشعرية السهلة ذات النغم الواضح مثل مجزوء الرجز والكامل والوافر والهزج والمتقارب والرمل والمتدارك والتدرج مطلوب بطبيعة الحال .
- وهنا أحب أن أنوه بأن " الشعر الحر " لا يدخل في هذا المجال . " الشعر الحر " لم يظهر إلا في منتصف القرن العشرين ، والكتابة منه لا تحقق الأغراض المطلوبة من " الشعر " من حيث سهولة الحفظ والتذكر وهي أهداف تعليمية ، ولا يعلم النغم أيضا ، ولا أريد أن أسترسل فأقول إن ما يسمى قصيدة النثر هي بنت شرعية للشعر الحر ، وقصيدة النثر تباعد بين الشعر وقارنيه ، ومن هنا أرى لزاما الالتزام بالأوزان العربية الأصيلة المطردة حفاظا على اللغة العربية قبل كل شئ .
- ٦- الطفل العربي الآن غير الطفل العربي من نصف قرن ، بل من ربع قرن ، هناك تطور معرفي هائل في وسائل الاتصال فصار العالم كل قرية واحدة ، وهناك تدفق معلومات بوسائل شتى في الفضائيات والإنترنت والأقراص المدمجة والموبايل

والتلفزيون والسينما وغير هذا وذاك من وسائل . وكل هذا يلقى عبئاً على الشعراء الذين يكتبون للأطفال إذ عليهم أن يراعوا هذه المستحدثات المعرفية التي غيرت كثيراً من مفاهيم الأطفال .

٧- أخيراً أود أن أقول إن التمسك بفن الشعر العربي في تعليم أطفالنا هو استمساك أخير بوشائج الثقافة الخاصة التي تعاني من فعل رياح العولمة العاتية، وأمل أن ننقذ أنفسنا ولغتنا وأجيالنا القادمة بهذه الوسيلة الجميلة "شعر الأطفال" .

محمد حماسة عبد اللطيف



**المراجع**

\*\*\*\*

- ١- أحمد شوقي ، الشوقيات (المكتبة التجارية الكبرى ١٩٨٣) .
- ٢- د. أحمد مختار عمر ، اللغة واختلاف الجنسين (عالم الكتب ١٩٩٦) .
- ٣- ابن عبد ربه ، العقد الفريد (تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الإبياري - دار الكتاب العربي) .
- ٤- د. داود عبده ، دراسات في علم اللغة النفسي (جامعة الكويت ١٩٨٤)  
فهم المقروء وفهم المسموع (الموسم الثقافي الثاني والعشرون لمجمع اللغة الأردني ٢٠٠٤) .
- ٥- د. رشدى طعيمة ، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (جامعة أم القرى) .
- ٦- سليمان العيسى ، ديوان الأطفال (دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان دار الفكر - دمشق - سورية) .
- ٧- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر - مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ : ١٩٨٩) .
- ٨- فاروق شوشة ، \* الأمير الباسم (المركز القومي لثقافة الطفل ٢٠٠٥) .  
\* حبيبة والقمر (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨)  
\* حكاية الطائر الصغير (قطر الندى ٢٠٠٢) .  
\* ملك تبدأ خطوتها (الهيئة العربية العامة للكتاب ٢٠٠٢) .
- ٩- د. ملكة أبيض ، ماذا يغنى الأطفال في ديوان الأطفال لسليمان العيسى - دراسة مستقلة من كتاب للباحثة نفسها ، بعنوان : وقفات مع سليمان العيسى (الهيئة العامة للكتاب في صنعاء ٢٠٠١) .

